جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية

كلية أصول الدين

المؤتمر الدولي الأول

الجهود الليبية في تفسير القرآن و علومه

المحور الثاني علوم القرآن

بحث بعنوان

من جهود الليبين في دراسة الإعجاز القرآني

مقدمة د. فاتن محمد علي الجدي

FATEN MOHAMED ALI ELJADI

الدولة ليبيا

جهة العمل جامعة طرابلس

البريد الإلكتروني fate.eljadi@gmail.com

ملخص البحث

هذه الدراسة تهدف إلى التعريف ببعض جهود علماء ليبيا الكرام في دراسة الإعجاز القرآني، وجاءت في مبحثين؛ المبحث الأول يعرض بعض الدراسات في علم الإعجاز، وفيه مطلبان؛ المطلب الأول جُعِل لكتاب في تاريخ الإعجاز بعنوان؛ "جهود علماء الغرب الإسلامي واتجاهاتهم في دراسة الإعجاز القرآني (من القرن الخامس حتى القرن الثامن الهجري) للأستاذ الدكتور/ حسن مسعود الطوير، أما المطلب الثاني فقد خُصص لثلاثة بحوث منشورة في وجوه الإعجاز القرآني، الأول والثاني في الإعجاز البياني، وهما للأستاذ الدكتور عبد الله محمد النقراط، أما الثالث فهو في الإعجاز العلمي للدكتور سعيد سالم الفاندي، وخصص المبحث الثاني من الدراسة لعرض جانب من جهود المفسرين الليبيين في دراسة الإعجاز القرآني، واخترت منهم فضيلة الشيخ أحمد عبد السلام أبو مزيريق _رحمه الله_، من خلال تفسيره "إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن"، وقد جُعِل المطلب الأول: لدراسة موقف المفسر من الإعجاز القرآني، أما الفصل الثاني؛ فقد خصص لدراسة نماذج مختارة من وجوه الإعجاز القرآني في تفسير "إرشاد الحيران"، وخلصت الدراسة إلى نتيجة مفادها أن علماء ليبيا كانت لهم مساهمات مميزة وذات قيمة علمية كبيرة في مجال الإعجاز القرآني.

Abstract

From the efforts of the Libyans in studying the Qur'anic miracles

This study aims to introduce some of the efforts of the honorable Libyan scholars in studying the Qur'anic miracles, and it came in two sections; The first topic presents some studies in the science of miracles, where the first requirement is devoted to a book on the history of miracles entitled "The efforts and trends of the scholars of the Islamic West in studying the Qur'anic miracles" (from the fifth century to the eighth century AH) by Professor Dr. Hassan Masoud Al-Taweer, As for the second chapter, it was devoted to three researches in the aspects of the Qur'anic miracles, the first and second in the graphic miracles, which are by Professor Dr. Abdullah Muhammad Al-Noqrat, and the third is in the scientific miracles of Dr. Saeed Salem Al-Fandi, and the second section of the study was devoted to presenting part of the efforts of the Libyan interpreters in studying the Qur'anic miracles, and I chose Sheikh Ahmed Abd al-Salam Abu Muzairiq, may God have mercy on him, from them, through his interpretation of "Irshad al-Hiran to the Directions of the Qur'an.", the first requirement has been made: to study the position of the interpreter regarding the Qur'anic miracles. As for the second chapter, it was devoted to the study of selected models of the aspects of the Qur'anic miracles in the interpretation of "Irshad Al-Hiran", and the study concluded that Libyan scholars had distinguished contributions of great scientific value in the field of the Qur'anic miracles.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله منزّل القرآن، ومعلّم الإنسان، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للأنام، وأسوة حسنة لمن أراد الفوز برضا الرحمن، والتنعم بالجنان، وبعد،،

لايزال القرآن الكريم على مر العصور آية خالدة، وبرهاناً من الله للأولين والآخرين على صدق هذه الرسالة ومصدرها الرباني، فقد عجز البشر أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بسورة من مثله على مر السنين، وعلم الإعجاز القرآني من العلوم التي بدأت الإشارة إليها في كتابات علماء المسلمين مع مطلع القرن الثالث الهجري، وإن تأخر ظهور المصطلح العلمي لهذا العلم حتى نهاية القرن الثالث، ثم توالت فيه التآليف مبينة ومقعدة لأصول هذا العلم من علوم القرآن، ومعددة لأوجه الإعجاز التي ظهرت ولا زالت تظهر للقرآن الكريم، وكان لعلماء ليبيا الأفاضل جهود مميزة في هذا الجانب، سواء من الناحية النظرية في دراسة علم الإعجاز القرآني، أم من الناحية التطبيقية في دراسة وجوه الإعجاز في الآيات القرآنية، وهذا ما دفعني إلى تسليط الضوء على بعض جهودهم لدراستها والاستفادة منها. وقسمت بحثي إلى مبحثين ولكل مبحث مطلبان على النحو التالي: المبحث الأول، وقد خصصته لعرض بعض جهود الليبيين في دراسة علم الإعجاز، حيث استعرضت في المطلب الأول، كتاب نُشر عام 2001م، للدكتور حسن مسعود الطوير، يتحدث فيه عن جانب من تاريخ الإعجاز القرآني، وهو بعنوان "جهود علماء الغرب الإسلامي واتجاهاتهم في دراسة الإعجاز القرآني (من القرن الخامس حتى القرن الثامن الهجري)، أما المطلب الثاني: فقد خصصته لبيان بعض جهود الليبيين في دراسة وجوه الإعجاز، وقد استعرضت فيه بحثين للدكتور عبد الله محمد النقراط، الأول: بعنوان "من أسرار الإعجاز القرآني" نشر في مجلة الجامعة الأسمرية سنة 2003م، أما الثاني: فهو بعنوان؛ من أسرار القرآن الكريم تصريف أساليبه: تنوع صور الاستفهام، نشر أيضا في مجلة الجامعة الأسمرية سنة 2007م، والبحثان يتحدثان عن الإعجاز البياني للقرآن الكريم، ثم استعرضت بحثاً للدكتور سعيد سالم الفاندي، وهو بعنوان: في الإعجاز العلمي، نشر في مجلة الجامعة الأسمرية سنة 2008م، أما المبحث الثاني فقد خُصص

لدراسة بعض جهود المفسرين الليبيين في دراسة الإعجاز، وكان النموذج المختار هو تفسير "إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن" لفضيلة الشيخ أحمد أبو مزيريق _رحمه الله_ ، تحدثت فيه بداية عن موقف الشيخ الفاضل من إعجاز القرآن، ثم استعرضت نماذج من إشاراته إلى مواطن الإعجاز القرآني من خلال تفسيره "إرشاد الحيران"، وقد خلصت من خلال هذا العرض الموجز لبعض جهود علماء ليبيا في دراسة الإعجاز القرآني، إلى نتيجة مفادها أن علماء ليبيا الكرام لهم جهود قيمة ومميزة في مجال الإعجاز القرآني، لا تقل أهمية عن نظرائهم من علماء المسلمين، وأن هذه الجهود حري بها أن تجمع وتصنف وتتخذ موضعها من المكتبة الإسلامية العالمية، وأننا في ليبيا بحاجة إلى هذا النوع من المؤتمرات العلمية والدولية للتعريف بعلماءنا، والإشادة بجهودهم العلمية الرائدة.

المبحث الأول:

من جهود الليبيين في دراسة علم الإعجاز القرآني

اصطلح العلماء على اعتبار القرآن الكريم معجزة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، التي جعلها الله تعالى دليلاً وبرهاناً على صدق رسالة الإسلام، ولكن الناظر في القرآن الكريم لا يجد مصطلح المعجزة وارداً فيه، على الرغم من ورود مادة عجز ومشتقاتها في آيات القرآن الكريم، فالقرآن استخدم كلمات أخرى للدلالة على معجزات الأنبياء مثل: الآية، والبينة، والبصيرة، والبرهان، والسلطان، وكان الأولى استعمال المصطلح القرآني لشرفه وفضله وتمام دلالته[1]، بل إني أرى _من وجهة نظري_ أن استبدال المصطلح القرآني هو السر الكامن وراء اختلاف العلماء حول قبول أو رفض بعض وجوه الإعجاز القرآني، فدلالة الإعجاز تظهر بوضوح في الإعجاز البياني للقرآن الكريم الذي يتضمن بلاغة أسلوبه ونظمه المحكم، ولكن عند إسقاط معنى الإعجاز على وجوه أخرى كالإعجاز العلمي مثلاً، تجد أن الدلالة المعنوية تميل إلى معنى البرهان والآية، أكثر من معنى الإعجاز، لأن الإشارات العلمية الواردة في القرآن الكريم هي دليل على مصدر القرآن الرباني، وليست هي المقصودة بالتحدي، فالتحدي بالقرآن إنما هو في الإتيان بمثله في إعجازه البياني، وليس في الإتيان بمضمونه فقط، لاعتبارات كثيرة

[1] ينظر: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، ص21.

منها أن الإشارات العلمية قد تأتي في أقل من آية، وقد اتفق جمهور العلماء على أن القدر المعجز من القرآن الكريم هو السورة، ولا أقل من ذلك، ولكن وحيث "لامشاحة في الاصطلاح" فالعلماء قد استنبطوا هذا المصطلح من دلالته اللغوية المعبرة عن عجز البشر أن يأتوا بمثل القرآن الكريم، أو بمثل سورة منه.

وإعجاز القرآن من حيث المصطلح هو مركب إضافي يتكون من كلمتين إعجاز و قرآن، ومادة عجز في اللغة، يقول فيها ابن فارس: "الْعَيْنُ وَالْجِيمُ وَالزَّاءُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى الضَّعْفِ، وَالْآخَرُ عَلَى مُؤَخَّرِ الشَّيْءِ. فَالْأَوَّلُ عَجِزَ عَنِ الشَّيْءِ يَعْجِزُ عَجْزًا، فَهُوَ عَاجِزٌ، أَيْ ضَعِيفٌ. وَيُقَالُ: أَعْجَزَنِي فُلَانٌ، إِذَا عَجِزْتَ عَنْ طَلَبِهِ وَإِدْرَاكِهِ. وَأَمَّا الْأَصْلُ الْآخَرُ فَالْعَجُزُ: مُؤَخَّرُ الشَّيْءِ، وَالْجَمْعُ أَعْجَازٌ، حَتَّى إِنَّهُمْ يَقُولُونَ: عَجُزُ الْأَمْرِ، وَأَعْجَازُ الْأُمُورِ. وَيَقُولُونَ: (لَا تَدَبَّرُوا أَعْجَازَ أُمُورٍ وَلَّتْ صُدُورُهَا)"[2].

وقال الراغب الأصفهاني في مفرداته عن معنى عجز: "عَجُزُ الإنسانِ: مُؤَخَّرُهُ، وبه شُبِّهَ مُؤَخَّرُ غيرِهِ. قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ [القمر : 20] ، والعَجْزُ أصلُهُ التَّأَخُّرُ عن الشيء، وحصوله عند عَجُزِ الأمرِ، أي: مؤخّره، كما ذكر في الدّبر، وصار في التّعارف اسما للقصور عن فعل الشيء، وهو ضدّ القدرة. قال تعالى: ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ﴾ [المائدة : 31] ، وأَعْجَزْتُ فلاناً وعَجَّزْتُهُ وعَاجَزْتُهُ: جعلته عَاجِزاً"[3].

أما القرآن الكريم: فهو كلامُ اللهِ تعالى المُنزَّل على نبيه مُحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، المُتعبَّدُ بتلاوته، المنقول إلينا بالتواتر. وبذلك يكون معنى "إعجاز القرآن" هو: "عدم قدرة الكافرين على معارضة القرآن، وقصورهم عن الاتيان بمثله، رغم توفر ملكتهم البيانية، وقيام الداعي على ذلك، وهو استمرار تحديهم، وتقرير عجزهم عن ذلك"[4].

---

[2] معجم مقاييس اللغة لابن فارس، 4/ 232(بتصرف).

[3] غريب مفردات القرآن للراغب الأصفهاني، ص233.

[4] إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، ص17.

أما علم إعجاز القرآن فهو أحد علوم القرآن الكريم، ولم يبرز مصطلح إعجاز القرآن إلى الساحة العلمية إلا مع نهاية القرن الثالث الهجري، مع وجود الإشارات العديدة له في كتب المؤلفين في مطلع القرن الثالث الهجري، ولعل أول من ألف كتاباً مستقلاً تحت هذا العنوان هو أبو عبد الله محمد بن يزيد الواسطي(ت306) وسماه "إعجاز القرآن البياني" وقام عبد القادر الجرجاني بشرحه، ولكن الكتاب والشرح في عداد الكتب المفقودة التي لم تصل إلينا[5]. وتوالت التآليف والكتب بعد ذلك مقعدة ومبينة لأصول هذا العلم ووجوهه.

المطلب الأول: من جهود الليبيين في بيان تاريخ الإعجاز القرآني

اخترت في هذا المطلب أن أعرض كتاباً مميزاً وقيّماً لأحد علماء ليبيا وهو بعنوان: **جهود علماء الغرب الإسلامي واتجاهاتهم في دراسة الإعجاز القرآني (من القرن الخامس حتى القرن الثامن الهجري)، للأستاذ الدكتور/ حسن مسعود الطوير**، دمشق، وبيروت، دار قتيبة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 1430 م.ر/ 2001م.

ومؤلف الكتاب هو عضو هيئة تدريس بجامعة غريان، له مؤلفات عديدة وبحوث منشورة، وأشرف على العديد من الرسائل الجامعية لطلاب العلم.

التعريف بالكتاب:

العمل الذي بين أيدينا هو أطروحة دكتوراه تقدم بها الباحث لجامعة محمد الخامس بمدينة الرباط/المغرب، وقد حصل بموجبها على الإجازة الدقيقة في القرآن وعلومه، أما حجم الكتاب المنشور فقد كان في 650 صفحة، وموضوعه هو إبراز جهود علماء الغرب الإسلامي في دراسة الإعجاز القرآني في الفترة ما بين القرنين الخامس والثامن الهجريين، ويعتبر أول دراسة من نوعها في هذا المجال، وقت قيام الباحث بهذا الجهد المبارك.

[5] ينظر: مباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم، ص48.

فصول الكتاب

بعد أن قدّم المؤلف لكتابه بمقدمة وافية، ذكر فيها منهجه ومصادره، قسم المؤلف كتابه إلى أربعة فصول دراسية، وخاتمة ذكر فيها ما توصل له من نتائج، واحتوت فصول الدراسة مايلي:

الباب الأول: تناول فيه الباحث نشأة وتطور إعجاز القرآن بالغرب الإسلامي، وقسمه إلى فصلين؛ الأول: تحدث فيه عن نشأة التفسير بالغرب الإسلامي واتجاهاته، والثاني: حدد فيه الباحث تطور بحوث الإعجاز بالغرب الإسلامي من القرن الخامس الهجري إلى القرن الثامن الهجري.

الباب الثاني: تعرض فيه الباحث لبيان جهود علماء العقيدة في دراسة إعجاز القرآن، وقد قسمه إلى أربعة فصول؛ الأول: تمهيدي يبين نشأة الفكر العقدي في الغرب الإسلامي، والثاني: خُصص لدراسة جهود ابن حزم الظاهري في إعجاز القرآن، والثالث: خصص لجهود أبي عمار عبد الكافي الأباضي في دراسة ظاهرة الإعجاز من خلال كتابه " الموجز"، أما الفصل الرابع: فقد عرّف فيه الباحث بجهود علماء الأشعرية المغاربة في دراسة إعجاز القرآن.

الباب الثالث: وقد جعله الباحث لدراسة جهود المفسرين المغاربة في دراسة ظاهرة الإعجاز القرآني، وقد مهّد له ثم قسمه إلى ستة فصول؛ الأول: ويتضمن جهود ابن عطية في دراسة إعجاز القرآن من خلال تفسيره المحرر الوجيز، والثاني: يبرز جهود القرطبي في هذا المجال، والثالث: خصصه الباحث لدراسة جهود ابن الزبير الغرناطي، والرابع: لدراسة جهود أبي حيان الأندلسي، والخامس: لدراسة جهود ابن عرفة الورغمي، وختم هذا الباب بفصل سادس يبين جهود هؤلاء المفسرين في دراسة مجازات القرآن.

الباب الرابع: وقد خصصه الباحث للتعريف بجهود علماء السيرة النبوية المغاربة في دراسة إعجاز القرآن ودلائل النبوة، ومهد له ببيان نشأة علم السيرة في الغرب الإسلامي، وقد قسمه إلى ثلاثة فصول: الأول: تناول فيه الباحث جهود ابن سبع السبتي في دراسة إعجاز القرآن من خلال مخطوطه شفاء الصدور، والثاني: خصصه للتعريف بجهود القاضي عياض في دراسة المعجزات الحسية والعقلية

لرسولنا محمد ﷺ، والثالث: تحدث فيه الباحث عن جهود عبد الرحمن السهيلي في دراسة دلائل النبوة من خلال كتابه الروض الأنف[6].

منهج المؤلف:

اعتمد المؤلف في دراسته المنهج الاستقرائي النقدي، حيث قام بعرض الأقوال، والمقابلة بينها ثم ترجيح بعضها على بعض، وقد حرص المؤلف خلال بحثه على التوثيق والتحقيق، وعزو الآراء إلى أصحابها، وإرجاع المعلومات المنقولة إلى مصادرها الأصلية ما أمكن ذلك، وهو في نقده سعى للالتزام بالموضوعية في التخريج والترجيح، مبدياً رأيه في القضايا المطروحة، غير جازم بصحة ما توصل إليه من أحكام ونتائج.

مصادر ومراجع الكتاب:

مما يميز هذه الدراسة القيمة استمدادها من مصادر كثيرة ومتعددة، بلغت (223) مائتين وثلاثة وعشرين كتاباً منشوراً، وسبع دوريات، ولم تقتصر مصادر المؤلف على المنشورات المطبوعة فقط، بل كان للمخطوطات في مصادره نصيب، حيث رجع إلى ست مخطوطات مهمة في علم الإعجاز القرآني، واستلزم منه ذلك القيام بالتحقيق والتصحيح للكثير من نصوص هذه المخطوطات، وهذا يكشف عن حجم الجهد المبذول من المؤلف _حفظه الله_ في إعداد هذه الدراسة، وعند حديث المؤلف عن مصادر ومراجع كتابه، قام بتصنيفها إلى ثلاثة أنواع:

أ. مصادر أصلية: وهي كتب العلماء المراد دراسة جهودهم في مجال الإعجاز مخطوطة كانت أم مطبوعة، وكتب من سبقهم من علماء المشارقة، وأهمها ما يلي:

_ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للخطابي والرماني والجرجاني.

[6] ينظر: جهود علماء الغرب الإسلامي واتجاهاتهم في دراسة الإعجاز القرآني، د. حسن الطوير، ص16

_ إعجاز القرآن، لأبي بكر محمد الباقلاني.

_ دلائل الإعجاز/ لعبد القاهر الجرجاني.

_ تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل، لأبي القاسم محمود الزمخشري.

بالإضافة إلى كتب في العقيدة والتفسير والسيرة النبوية.

ب. مصادر ثانوية: وهي بعض الكتب التي اهتمت بدراسة الإعجاز والقضايا العقدية وكتب التاريخ والتراجم.

ج. مصادر حديثة: وهي المراجع التي لها اهتمام بظاهرة الإعجاز والقضايا العقدية[7].

نتائج الدراسة:

توصل الباحث من خلال دراسته إلى أن علماء الغرب الإسلامي قد اهتموا بدراسة الإعجاز القرآني على اختلاف مدارسهم الفكرية واهتماماتهم العلمية، بل قد تميزت مناهجهم في التصنيف بالتحقيق والتوثيق والتحليل والنقد، خصوصاً علماء العقيدة والتفسير، أما علماء السيرة فلم يلتزموا بهذا المنهج في مصنفاتهم.

ويمكن أن ألخص أهم النتائج التي توصل لها الباحث من دراسته في النقاط التالية:

1. إن تحدي الله تعالى العرب بالقرآن ثابت بالمعنى الصريح في الآيات، ولا يعقل أن يتحداهم الله بالقرآن ثم يصرفهم عن الإتيان بمثله فلا معنى عند ذلك للتحدي.
2. يعد يحي بن سلام، وبقي بن مخلد، مؤصلين لمدرسة التفسير في الغرب الإسلامي في القرنين الثاني والثالث الهجريين، أما دراسة إعجاز القرآن فقد بدأت في مستهل القرن الخامس علي يد مكي بن أبي طالب، وأحمد بن عمار المهدوي.

[7] ينظر: جهود علاء الغرب الإسلامي، ص 13_ 15.

3. انفرد ابن حزم الأندلسي بالقول بالصرفة مخالفاً بذلك علماء المغاربة بقوله إن التحدي ليس شرطاً في المعجزة.
4. يرى أبو عمار عبد الكافي أن الإعجاز القرآني يشتمل على وجهين هما: البيان والإخبار عن المغيبات، واقتصر في كتابه "الموجز" على البحث في الإعجاز الغيبي فقط.
5. يمثل مذهب الأشعرية في ظاهرة الإعجاز كل من (سعيد العقباني)، (وأبي عمر السلالجي)، (وأبي عبد الله السكوني)، وهم من علماء المغرب في علم الكلام.
6. اعتنى بعض المفسرين المغاربة بإبراز معالم الإعجاز القرآني في مقدمات تفاسيرهم، أمثال ابن عطية والقرطبي وابن جزي، مع اختلافهم في تحديد وجوه الإعجاز، حيث يرى ابن عطية أن إعجاز القرآن بياني فقط، ويرفض الوجوه الأخرى، بينما يرى القرطبي أن إعجاز القرآن يشمل الجوانب البلاغية والغيبية والتشريعية والتاريخية.
7. قام ابن الزبير الغرناطي بالتأصيل لنظرية التناسب بين الآيات في كتابه "ملاك التأويل"، وبين السور في كتابه "البرهان" وقد تأثر بمنهجه تلميذه أبو حيان في تفسيره البحر المحيط الذي حوى الكثير من الأسرار البيانية.
8. يرى ابن عرفة أن محل الإعجاز مقدار آية، مخالفاً الجمهور الذين يرون أنه بمقدار أقصر سورة، كما يرى أن الحقيقة والمجاز في التعبير القرآني يجتمعان في تركيب واحد موافقاً في ذلك عز الدين بن عبد السلام.
9. كان لعلماء السيرة المغاربة إسهامات في دراسة الإعجاز القرآني، أمثال ابن سبع، الذي اتسمت جهوده بالشمول وحسن الاستدلال، والقاضي عياض، الذي جمع بين منهج الأدب والتاريخ في دراسته للإعجاز القرآني، أما السهيلي في الروض الأنف فقد صاغ كتابه بأسلوب أدبي سهل وممتع، مما جعل المشارقة يصنفون فيه الشروح والحواشي.

10. يتفق علماء السيرة المغاربة مع علماء السيرة المشارقة في ترك التحقيق والتوثيق للروايات التي يوردونها، مع الاستدلال ببعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة[8].

يتضح من العرض الموجز للكتاب السابق، القيمة العلمية الكبيرة لهذا الكتاب، والحيز الذي شغله من المكتبة العربية الإسلامية، وخصوصاً في مجال الإعجاز القرآني، جزى الله المؤلف عنه خير الجزاء.

المطلب الثاني: من جهود الليبين في دراسة وجوه الإعجاز القرآني

إذا تجاوزنا إشكالية مصطلح الإعجاز القرآني، فإننا لا نستطيع تجاوز تباين آراء العلماء حول وجوه إعجاز القرآن، حتى وإن كان الجميع متفقين على أن وجه الإعجاز البياني للقرآن المتعلق ببلاغة ونظمه وأسلوبه هو أهم وأعظم بل وأعم وجوه إعجاز القرآن الكريم، ويبقى الاختلاف فيما وراء ذلك من وجوه، فمن العلماء من يقصر وجوه الإعجاز في القرآن على الإعجاز البياني فقط، ومنهم من يرى تعدد وجوه الإعجاز، كالإعجاز العلمي، والإعجاز التشريعي، والإعجاز بالإخبار بالغيب وغيرها[9]، ولا يتسع المقام لدراسة آراء العلماء حول وجوه الإعجاز القرآني، وما يهمنا في هذا البحث هو استعراض بعض جهود علماء ليبيا في دراسة وجوه الإعجاز القرآني، وقد وقع الاختيار على ثلاثة بحوث محكمة ومنشورة في مجلة الجامعة الأسمرية، كما يتبين من العرض التالي:

أولاً: الإعجاز البياني:

1) بحث بعنوان من أسرار الإعجاز القرآني، أ.د عبد الله النقراط، نشر في مجلة الجامعة الأسمرية، المجلد الأول، 2003م.

[8] ينظر: جهود علماء الغرب الإسلامي، ص 573-577.

[9] ينظر: إعجاز القرآن الكريم، د. فضل عباس، ص 29.

التعريف بالباحث[10]:

هو الأستاذ الدكتور/ عبد الله بن محمد بن علي النقراط، ولد بمدينة بني وليد سنة 1953م، تخصصه الدقيق تفسير القرآن الكريم وعلومه، حصل على درجة أستاذ منذ 28/ 2005/10م، نُشرت له العديد من البحوث والأوراق العلمية والكتب العلمية، وناقش وأشرف على العديد من الرسائل الجامعية في الجامعات الليبية، كما أنه قام بالتدريس في الدراسات العليا والجامعية في العديد من الجامعات، ومن أهم مؤلفاته المطبوعة:

_ كتاب التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأعلام للسهيلي (دراسة وتحقيق)

_ بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم (المقاصد الكبرى) (جزآن).

_ تقييدات في التفسير لابن زكري (دراسة وتحقيق).

_ المفيد في الثقافة الإسلامية مقرر على الدراسات الجامعية.

_ المفيد في المصادر والمراجع العربية، مقرر على طلبة الدراسات العليا.

_ المفيد في منهجية البحث ومعالجة الظواهر السلبية في البحوث العلمية، مقرر للدراسات العليا.

والدكتور عبد الله _ كما أعرفه_ يتمتع بسعة الإطلاع وسماحة الخلق وتواضع العلماء، وكما عهدته معيناً لطلاب العلم محفزاً ومشجعاً لهم على النجاح والإنجاز، له مكتبة كبيرة عامرة بالكتب والمراجع كانت ولازالت قبلة لطلاب العلم، فجزاه الله عنا خير الجزاء.

موضوع البحث:

موضوع البحث يتحدث عن سر من أسرار الإعجاز القرآني ألا وهو التصريف، والذي يشمل تصريف الآيات والمعاني والدلالات في القرآن الكريم دون الإخلال بشروط البلاغة ووحدة ورفعة الأسلوب.

[10] مصدر السيرة الذاتية هو صاحبها، فقد تواصلت مع الدكتور الفاضل عبد الله النقراط، فهو من أساتذتي في الجامعة.

أفكار البحث:

استهل الباحث بحثه بمقدمة وقسمه إلى ست بنود استعرض من خلالها بعض أسرار الإعجاز القرآني على النحو التالي:

أولاً: السر في عجز العرب عن الإتيان بمثل القرآن.

بين الباحث أن العلماء اختلفوا في أسباب عجز العرب عن الإتيان بمثل القرآن على قولين؛ أحدها: قول من قال بالصرفة أي أن الله صرفهم عن المعارضة، وسلبهم الداعي لذلك، أما القول الثاني: والذي عليه جمهور العلماء، أن القرآن الكريم قد بلغ في درجات الفصاحة والبلاغة مبلغاً تعجز قدرة بلغاء العرب عن الاتيان بمثله. ثم استعرض الباحث بعض أراء العلماء في وجوه إعجاز القرآن، كالرماني، والباقلاني، والخطابي، والطاهر ابن عاشور، ليخلص إلى الإشارة إلى سر جامعٍ للكثير من وجوه هذا الإعجاز وهو التصريف.

ثانياً: من أسرار الإعجاز القرآني: التصريف

بدأ الباحث حديثه في هذا البند باستعراض الدليل من القرآن الكريم على وجود التصريف البديع في الآيات والأسلوب والمقاصد الدينية في القرآن الكريم، ثم عدد وجوهاً لهذا التصريف في القرآن، وعرّج على ذكر أقوال العلماء الذين أشاروا إلى هذا الوجه من وجوه الإعجاز، ناقلاً نصاً من قولهم في هذا الموضوع، كالرماني الذي يعتبر أول من أشار الى إعجاز التصريف معرفاً له بأنه: تصريف المعنى في المعاني المختلفة، كما ذكر التصريف كل من الباقلاني، ومحمد أبو زهرة، والرافعي.

ثالثاً: من أسرار التعبير في آيات التحدي

وقد بين الباحث في هذا البند السر الكامن وراء تصريف المعاني في آيات التحدي، حيث ورد في سورة البقرة قوله تعالى: (من مثله) بينما في سورة يونس قال: (مثله)، وجاء في سورة هود قوله: (بعشر سور)، وفي التعبير في سورة البقرة (وادعوا شهداءكم) وفي هود ويونس (من اسطعتم) فأورد بعض أقوال العلماء في ذلك، مستشهداً بها ومعقباً عليها.

رابعاً: السر في التحدي بسورة لا أقل منها

واستشهد فيها برأي العلامة محمد الطاهر بن عاشور، الذي بين أن ما يميز السورة عن الآيات أن السورة كلام مستوفٍ في غرض من الأغراض، يحمل وجوهاً متعددة من الإعجاز القرآني.

خامساً: التدلي من الصعب إلى السهل

بين الباحث ما وقع من التدرج من الصعب إلى السهل في آيات التحدي الستة، حيث ورد التحدي في ست سور منها خمس مكية، وسورة مدنية، وقد تدرج التحدي حسب نزول آياته، فبدأ بمطالبتهم بالإتيان بكتاب من عند الله يكون أهدى من التوراة والقرآن، ثم مطالبتهم بالإتيان بكتاب مثل القرآن، ثم الإتيان بعشر سور من القرآن، ثم الإتيان بسورة من القرآن.

سادساً: السر في ختم آيات التحدي

وقد ذكر رأيه في السر وراء ختم جميع أيات التحدي بقوله تعالى: (إن كنتم صادقين) عدا آية الإسراء التي ختمت بقوله تعالى: (ظهيراً)، مبيناً أن ظهيراً ناسبت مكانها لما فيها من التعاون والمناصرة، بينما قوله: (إن كنتم صادقين) ففيه تكذيب لهم فيما ادعوه من أن القرآن كلام بشر.

وختم الباحث بحثه قائلاً: "إن أسرار الإعجاز القرآني كثيرة، ومتنوعة، ولا يتسع المقام لتتبعها جميعاً وهي دليل إعجازه وسر عظمته، والحمد لله رب العالمين.

2) **بحث بعنوان: من أسرار القرآن الكريم تصريف أساليبه: تنوع صور الاستفهام، أ.د عبد الله النقراط، مجلة الجامعة الأسمرية، المجلد السابع، 2007م**، يقع البحث في 22 صفحة.

موضوع البحث:

يتناول البحث وجهاً من وجوه الإعجاز البياني ألا وهو إعجاز التصريف، متمثلاً في تصريف الأساليب، وتحديداً أسلوب الاستفهام، حيث بين الباحث تنوع صور الاستفهام التي يصرفها القرآن عن

أصل معناها إلى معانٍ أخر، وذكر في ذلك اثنتين وثلاثين صورة من صور الاستفهام بمعانٍ وأغراض بلاغية مختلفة.

أفكار البحث:

قام الباحث باستعراض الأغراض البلاغية لأسلوب الاستفهام في القرآن الكريم ومنها:

1. الاستفهام لغرض الإنكار كما في قوله تعالى: ﴿ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥ ﴾ [الأحقاف:٣٥]
2. الاستفهام لغرض التوبيخ كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ٩٥ ﴾ [الصافات: ٩٥]
3. الاستفهام لغرض التقرير، كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ١ ﴾ [الشرح: ١]
4. الاستفهام لغرض التعجب، كما في قوله تعالى: ﴿ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٨ ﴾ [البقرة: ٢٨]
5. الاستفهام لغرض العتاب، كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ ﴾ [الحديد: ١٦]

وتابع الباحث عرضه لصور الاستفهام التي سيقت لأغراض أخرى غير معنى الاستفهام الأصلي، كالتذكير، والافتخار، والاستبطاء، والاستبعاد، والتفخيم، والتهويل، والتسهيل، والتحذير، والتكثير، والتسوية، والأمر، والتنبيه، والترغيب، والنهي، والدعاء، والاسترشاد، والتمني، والتحضيض، والعرض، والتجاهل، والتعظيم، والتحقير، والتهكم، والتأكيد، والإخبار، والإياس، والإيناس، وهو بذلك قد جمع ما ذكره الزركشي في "البرهان" والسيوطي في "الاتقان" مستشهداً بأقوال العلماء فيها، مبدياً رأيه بالترجيح فيما يستدعي الترجيح، فجاء البحث ثرياً في مادته، ماتعاً في عرضه، كاشفاً عن جانب من بلاغة وروعة الأسلوب القرآني المعجز.

ثانياً: الإعجاز العلمي

1)بحث بعنوان: "في الإعجاز العلمي"، د. سعيد سالم الفاندي، مجلة الجامعة الأسمرية، المجلد التاسع، 2008م.

والباحث هو عضو هيئة تدريس بجامعة الزاوية، وأكاديمية الدراسات العليا/ جنزور، له العديد من البحوث المنشورة، وأشرف على العديد الرسائل الجامعية لطلاب العلم.

موضوع البحث:

يتحدث البحث عن الإعجاز العلمي، من حيث مفهومه وشروطه، ثم يختار الباحث نماذج للإعجاز العلمي في القرآن، للحديث عنها تحت مسمى الإشارات العلمية وهي، الإشارات الطبيعية، الإشارات الحيوية، الإشارات العددية.

أفكار البحث:

- يستهل الباحث بحثه بمقدمة مفادها أن أسلوب القرآن الكريم يمتاز عن أساليب البشر، في جمعه بين خصائص العلم وسمات الأدب في نفس الأسلوب بمزج بديع يحتار الباحث فيه بين الدلالات الإعجازية العلمية والأدبية، ثم يتسأل الباحث قائلاً: "لماذا يؤثر كثير من المختصين في العلوم البحثية والعلوم القرآنية، تسمية مظهر الإعجاز العلمي في القرآن بالإشارات العلمية، أفي ذلك دلالة على خفائها أم على إيجازها؟ ليخلص إلى الإجابة بأنها تجمع بين الخفاء والإيجاز بتلازم يرسخ مقصد القرآن للهداية والإرشاد.
- يبدأ الباحث حديثه عن شروط الإعجاز العلمي مستدلاً بأقوال من سبقه من الباحثين، مستنبطاً ومرجحاً ومبيناً لمقاصدهم مما كتبوه، ويمكن إجمال هذه الشروط في النقاط التالية:

1. الاقتصار على الحقائق العلمية الثابتة في تفسير القرآن، دون اعتماد النظريات التي لازالت قابلة للبحث والتعديل.
2. أن تتضمن الدلالة القرآنية بلفظها وتركيبها الإشارات العلمية، دون إقحام أو تعسف.
3. أن لا تصادم الحقائق العلمية سياق الآية القرآنية.

4. أن لا يعارض ما يدل على الإشارة العلمية ما صح من الشرع من صريح القرآن وصحيح السنة.

- في حديثه عن الإشارات الطبيعية تنقل الباحث بين عدد من الآيات القرآنية المتضمنة لهذه الإشارات العلمية، ذاكراً أقوال العلماء القدامي والمعاصرين فيها، مبرزاً مكامن الإشارات العلمية ومدلولاتها فيها.
- وفي حديثه عن الإشارات الحيوية، تناول الباحث مواضيع متعددة شملت حياة النبات والحيوان والإنسان، في عرض مسترسل محاولاً فيه الجمع بين الآية ونظيراتها التي تحدثت عن نفس الموضوع، لتكوين صورة كاملة عن الحقيقة العلمية، وهو في كل ذلك يجمع بين أقوال العلماء من الشرق والغرب المهتمين ببيان الإعجاز العلمي للقرآن الكريم.
- أما في حديثه عن الإشارات العددية فقد بسط القول، مؤصلاً لبدايات التأليف في هذا الوجه من الإعجاز، ناقداً، وموجهاً، وناقلاً، كما في النقاط التالية:

1. اختلفت آراء العلماء في سلامة احتساب الدلالات العددية في القرآن الكريم وجهاً من وجوه الإعجاز القرآني، ولعل تباين آراء العلماء بين الرفض والتقبل، مرده إلى تنكب بعض من تصدى للبحث في هذا المجال عن المنهج السوي، والاستدلال المنطقي .
2. إن بدايات الإشارة إلى هذا الوجه من الإعجاز كانت عند الصوفية وبعض الباطنية، ومثال على ذلك تفسير النيسابوري (غرائب القرآن ورغائب الفرقان).
3. عرض الباحث جانباً من فرضيات رشاد خليفة في الإعجاز العددي، ونقد منهجه في البحث ورجح فساد فرضياته، على الرغم من تصديق بعض الباحثين لها، وبين أن ما أثاره من جدل دفع البعض للبحث في منحى الإعجاز العددي.
4. ذكر الباحث إشارة أبو بكر الباقلاني(403هـ) إلى الحروف المقطعة في القرآن الكريم، وما فيها من دلالات عددية، مشيداً بها ومعقباً عليها.

5. أشار الباحث إلى نظام الحساب العشري في القرآن، مستشهداً بالأيات القرآنية الدالة عليه، كما أشار إلى دلالات عددية أخرى في القرآن كالعمليات الحسابية من ضرب وقسمة ونسبة وتناسب، في آيات المواريث وغيرها من الآيات.
6. وتوقف الباحث عند تجربة عبد الرزاق نوفل في الكشف عن الإعجاز العددي، فلم يقبلها ولم يرفضها، بحجة أن قبولها يستلزم مراجعة معطياتها للتأكد من صحتها، وتوسيع تطبيقاتها على مختارات أخرى من الآيات والكلمات والحروف، ولكنه عرض أمثلة متنوعة مما جاء في كتاب عبد الرزاق نوفل، مشيراً إلى أن هذه الحسابات إن صحت كانت دليلاً على الوحدة المعنوية للقرآن، وهي من تمام إعجازه، وإن لم تصح لا تأثير لها على اعتقادنا في سلامة القرآن وإعجازه.

- ختم الباحث بحثه بالتنبيه إلى أن التقارب بين حقائق العلم، وإشارات القرآن العلمية أصبح ملحوظاً بصورة أظهر مما كانت عليه في عصر من تحفظ أو عارض الإعجاز العلمي، إلى الحد الذي دفع أعلام تلك العلوم إلى الإقرار بكون القرآن وحياً من الله، بل كان سبباً في اعتناق بعضهم للإسلام.

يتميز هذا البحث بجزالة أسلوب الباحث، وتجنبه للحشو والاستطراد، وتعدد وتنوّع مصادره ومراجعه، كما أنه تحلى بالموضوعية والاتزان في منهجه في طرح القضايا الخلافية، فلم يغرق في النقد، ولم يتحيز في التأييد، بل كان يبدي رأيه معللاً وموجهاً حتى لآراء من سبقوه في الحديث عن هذا المجال.

المبحث الثاني:

من جهود المفسرين الليبيين في دراسة الإعجاز القرآني الشيخ أحمد أبو مزريق أنموذجاً.

أولاً: التعريف بالمؤلف[11]:

هو الشيخ العالم الفذ الأستاذ أحمد عبد السلام محمد أبو مزيريق، ولد سنة 1929م في قرية رأس علي بمدينة مصراتة، حفظ القرآن الكريم وهو في سن الثالثة عشر، وتتلمذ على عدد من كبار العلماء والمشائخ في عصره، تولى الإمامة والخطابة وتعليم القرآن بجامع المغاربة سنة 1950م، ثم حصل على الشهادة الابتدائية سنة 1955م، ثم الشهادة الثانوية سنة 1964م، ثم انتقل إلى مدينة البيضاء لمواصلة دراسته الجامعية بكلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية، وتخرج منها سنة 1968م. أما عمله فقد شغل مراكز عديدة كالخطابة والإمامة في المساجد، والتعليم في المدارس والمعاهد، وعُرِف عنه الجد والبذل، وحسن العطاء، ناقداً للخرافات، والخزعبلات، والترهات، سواء فيما يخص التفسير أو شرح الأحاديث، أو ما لابس المجتمع من ذلك كله.

كتبه وآثاره العلمية:

1. تفسير "إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن" ويقع في اثني عشر مجلداً.
2. كشف المغطي من حقائق الموطأ.
3. شرح منظومة الفطيسي في الفقه المالكي.
4. كشف الغطاء عما وقع في المآتم من أخطاء.
5. اقتباس الشعر الحكيم من آيات القرآن الكريم.
6. مختارات خالدة ممتدة من تاريخ الإمامين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده.
7. المنتخب من أحاديث لسان العرب.

[11] تفسير ارشاد الحيران 1/ 12 – 21 بتصرف.

استمر الشيخ في التدريس والتعليم، وكان شغوفاً بقراءة الكتب ذا عقلية ناقدة وفكر نير، ولم يتوقف عن التدريس إلا بعد مرضه في حوالي 2007م، وانقطع عن الفتوى كذلك تورعاً، حتى توفي سنة 2010م. رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته مع الأبرار والصديقين، وجزاه عن الإسلام والتعليم خيراً.

التعريف بكتاب التفسير[12]:

تفسير إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن، سفر قيم من أسفار العلم يضم اثني عشر مجلداً، بدأ المؤلف في تأليفه سنة 1973م وانتهى منه عام 1993م، فيكون قد استغرق تأليفه من الزمن عشرين عاماً..

وقد استفاد الشيخ أحمد أبومزيريق ممن سبقوه من علماء التفسير، ومن أهم مصادره في التفسير؛ الطبري، والنيسابوري، وابن كثير، والنسفي، والرازي، وتفسير المنار، وتفسير الظلال، وأخيراً تفسير التحرير والتنوير للعلامة الطاهر ابن عاشور، ولا يتسع المقام للحديث عن منهج الشيخ الجليل في تفسيره، ولذلك سأكتفي بذكر بعض مزايا هذا التفسير القيم والمميز:

1. اعتنائه بالمباحث اللغوية في التفسير من لغة ونحو وبلاغة، دون توسع ولا إطناب، ولا ذكر للخلافات النحوية، والاقتصار على وجه واحد من الإعراب.
2. اختياره لمحاسن ما جاء في تفاسير من سبقوه، اختياراً يكشف عن سعة علم، وحكمة.
3. اجتنابه للخرافات والروايات الإسرائيلية، والآراء الضعيفة، والأقوال التي لا تقوم على ساق الدليل.
4. التزامه بالحديث عن التفسير ومتطلباته، والبعد عن الاستطراد والخروج إلى المسائل الفرعية والثانوية.

[12] تفسير إرشاد الحيران 1/ 21 – 26.

المطلب الأول: موقف الشيخ من الإعجاز القرآني

تبين مما سبق اهتمام المؤلف بالجانب اللغوي في تفسيره، خصوصاً وهو يعتبر تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور مصدراً أساسياً له، وما يهمنا التركيز عليه في هذا البحث هو موقفه من الإعجاز القرآني، والذي يمكن أن نستنتجه من تفسيره لآيات التحدي في القرآن الكريم، وآيات أخرى دالة على عظمة القرآن الكريم، ويمكن تلخيص ملامح من موقفه من الإعجاز القرآني في النقاط التالية:

- عند حديثه عن وجهة نظره في الحروف المقطعة التي في أوائل السور، بيّن أن الآراء فيها وصلت إلى أكثر من عشرين قولاً، لكنها لا توصل إلى مطلوب، وهو يرى أن الغرض من وضع الحروف الهجائية في بداية بعض السور هو الإشارة إلى أن الكتاب مكتوب بهذه الحروف المعروفة للعرب، والتي منها يتألف كلامهم، لكن القرآن يختلف عنها في تراكيبه وأساليبه وإعجازه جملة وتفصيلاً، بحيث لا تجد مشابهة بينه وبينها، إلا في مفرداته وحروفه فقط، وهذا هو التحدي الكامل والإعجاز الشامل[13].
- ويرى الكثير من المفسرين أن الحروف المقطعة تشير إلى نصف الحروف الهجائية، في اللغة العربية، في حين أن المؤلف له وجهة نظره الخاصة، حيث يقول أنها "تشير إلى جميع حروف الهجاء الموجودة في اللسان العربي، باعتبار أن هذه الحروف لم تكن منقوطة أول ما كتب القرآن بها، .. من هذا الجانب لاح لي سر إعجاز القرآن: لأن كل باحث فيه يجد شيئاً جديداً يحتاج إلى بيان"[14].
- عند حديثه عن قوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الطور: ٣٤] هو يثبت عجز البشر عن الاتيان بمثل القرآن، بل يشير إلى أن القرآن يحوي سراً آخر وراء الإعجاز حيث يقول: "إن في هذا القرآن سراً خاصاً يشعر به كل من يواجه نصوصه ابتداء،

[13] ينظر: إرشاد الحيران 1/ 15، 52 .
[14] المصدر السابق 1/ 52.

قبل أن يبحث عن مواضع الإعجاز فيها... وأن هنالك عنصراً ما، ينسكب في الحس بمجرد الاستماع لهذا القرآن.. يصعب تحديد مصدره: أهو العبارة ذاتها؟ أهو المعنى الكامن فيها؟ أهو الصور والظلال التي تشعها؟ أهو الإيقاع القرآني الخاص المتميز من إيقاع سائر القول المصوغ من اللغة؟ أهي هذه العناصر مجتمعة؟ أم إنها هي وشيء آخر وراءها غير محدود؟!"[15].

- عند حديثه عن التوجيه الذي يحمله قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة: ٢٣] قال: "هذه الآية قد أثبتت إعجاز القرآن إثباتاً متواتراً، امتاز به القرآن عن بقية المعجزات"[16]، وهذا ملمح دقيق في الإعجاز القرآني أشار إليه المؤلف، وهو أن التحدي بالقرآن الكريم قد تخطي زمن نزوله إلى آخر الزمان، بينما معجزات الرسل السابقين كانت لزمانهم فقط.
- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر: ٢٣] اعتبر من مقومات كون القرآن أحسن الحديث؛ إعجاز نظمه فقال: "ومعنى كون أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني: تشابه معانيه في الصحة والإحكام، والابتناء على الحق والصدق، واستتباع منافع الخلق، وتناسب ألفاظه في الفصاحة، وتجاوب نظمه في الإعجاز"[17].

المطلب الثاني: نماذج من وجوه الإعجاز القرآني في تفسير إرشاد الحيران

أشار المؤلف في تفسيره إلى مواضع كثيرة حوت وجوهاً من إعجاز القرآن الكريم، وفيما يلي مختارات من هذه الوجوه الإعجازية:

---

[15] تفسير إرشاد الحيران 11/ 218.

[16] تفسير إرشاد الحيران 1/ 89.

[17] تفسير إرشاد الحيران 240/10.

الإعجاز البياني:

الإعجاز البياني هو الوجه الأساسي والأهم من وجوه الإعجاز القرآني، والمؤلف يرى أن كل وجوه الإعجاز القرآني متضمنة للإعجاز البياني، لأنه السمة الشاملة لأسلوب القرآن الكريم، وتتعدد صور الإعجاز البياني لتشمل: البلاغة، والإيجاز، والنظم وحسن الصياغة، والأسلوب البديع، والتصوير الفني، بل المؤلف يرى أن القرآن الكريم معجز حتى على مستوى اختيار اللفظة الواحدة المعبرة عن المعنى المراد دون غيرها، بحيث لا يصلح استبدالها بغيرها، وهو ما سماه الإعجاز المعنوي للقرآن الكريم، وإليك بعض النماذج على ذلك:

- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [البقرة: ٢٠٥] قال المؤلف: "والتولية هنا تحمل معنيين: بمعنى الانصراف، ومعناه إذا فارقك فعل ما فعل، وبمعنى الولاية، ومعناه إذا ما ولي أمراً من الأمور فعل ما فعل من الفساد والشرور. والسعي هنا له معان عدة: بمعنى السعي الحثيث، والعمل والكسب، والتوسط بين الناس بالخير أو الشر، والحرص وبذل العزم لتحصيل شيء. وهذا الأسلوب يحتمل كل هذه المعاني، ففيه الإيجاز البديع. وفي الأرض تأكيد لمدلول سعى، لرفع توهم المجاز"[18].
- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ [النساء: ٢١] قال المؤلف: "ولابد من وقفة أمام هذا الأسلوب العجيب، والسياق المبدع الغريب، لنرى لمسة وجدانية عميقة، وظلاً من ظلال الحياة الزوجية، وربضاً يانعاً طليقاً في تعبير موقظ ومُوحٍ لذهن يرى بعين الحقيقة. وتزداد تعجباً من هذا الأسلوب

[18] تفسير إرشاد الحيران 1/ 380.

عندما يترك قوله: (وقد أفضى) بدون مفعول، ليدع اللفظ مطلقاً يشعُّ كل معانيه، ويلقي كل ظلاله، ولا يقف عند حدود الجسد، بل يشمل العواطف والمشاعر والوجدانات والتصورات"[19].

- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾ [النساء: ٣٤] وبعد أن بين أن سبب القوامة سببين؛ أحدهما وهبي والآخر كسبي، أشار إلى الإعجاز في صياغة هذه الآية فقال: "ومن بديع الإعجاز صوغ قوله: (بما فضل)، (وبما أنفقوا)، في قالب صالح للمصدرية وللموصولية، مشعرة بأن سببها ما يعلمه الناس من فضل الرجال ومن المال الذي أنفقوه، ليصلح الخطاب للفريقين: عالمهم وجاهلهم، ولأن في الإتيان بجامع الفعل على تقدير احتمال المصدرية جزالة لا توجد في قولنا: بتفضيل الله وبالإنفاق؛ لأن العرب يرجحون الأفعال على الأسماء في طرق التعبير"[20].

الإعجاز في التصوير الفني:

من الوجوه التي أسهب المؤلف في الحديث عنها هو الإعجاز في التصوير الفني للقرآن الكريم، ويظهر بوضوح تأثر المؤلف بتفسير "في ظلال القرآن" لسيد قطب، وقد أبدع المؤلف في تفسير الصور الفنية في القرآن الكريم وبيان مواطن الإعجاز فيها ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨١﴾ [البقرة: ٨١] قال المؤلف مبرزاً دقة التصوير الفني للقرآن الكريم ودلالته النفسية: "وفي هذا الأسلوب تصوير فني معجز لحالة معنوية خاصة، والتعبير يشير إلى حالة نفسية معروفة: إن الذي يجترح الخطيئة إنما يجترحها عادة وهو يلتذها ويستسيغها ويحسبها كسباً له على معنى من المعاني، ولو أنها كانت كريهة في حسه ما اجترمها، ولو اجترمها

[19] تفسير إرشاد الحيران 2/ 451.
[20] تفسير إرشاد الحيران 2/ 465.

مكرهاً أو كارهاً ما تركها تملأ عالمه وتحيط به، لأنه خليق في هذه الحالة أن يهرب من ظلها ويستغفر منها ويلوذ إلى كنف غير كنفها، وعندئذ لا تحيط به أبداً"[21].

- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٩٣] تحدث المؤلف عن الصورة الفنية التي ترسمها الآيات وما فيها من دلالات حسية فقال: "تلك الصورة الساخرة الهازئة؛ صورة العجل يدخل في القلوب إدخالاً ويحشر فيها حشراً، حتى يكاد ينسي المعنى الذهني الذي جاءت هذه المجسمة لتؤديه وهو حبهم الشديد لعبادة العجل، حتى لكأنهم اشربوه في القلوب! . هنا تبدو قيمة التعبير القرآني المصور بالقياس إلى التعبير الذهني المفسر: إنه التصوير!. السمة البارزة في التعبير القرآني الجميل"[22].
- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ [المائدة: ١١] يقف المؤلف عند التعبير القرآني ويقول: "إن صورة بسط الأيدي وكفها تصوّر حركة حسية حية. والتعبير القرآني يختار الصورة للتعبير عن الدلالة المجردة؛ لأن الصورة الحية أوقع في النفس، وهي تطلق الشحنة الكامنة في التعبير كما لو كان هذا التعبير يطلق لأول مرة مصاحباً للواقعة الحسية التي يعبر عنها، وتلك في الغالب ـ طريقة القرآن في التعبير ـ طريقة التصوير"[23].

الإعجاز في الإخبار بالغيب:

وهو من وجوه الإعجاز القرآني التي أشار إليها المؤلف، ومن الأمثلة عليه ما يلي:

- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٦١] قال المؤلف: "وهذا من جملة الإخبار عن الغيب، الدال على كون القرآن وحياً من عند الله، وهذه الحقيقة التي وصمت اليهود وجعلت لهم علامة مميزة مدى الحياة!؛ فهم دائماً

[21] تفسير إرشاد الحيران 178/1.
[22] تفسير ارشاد الحيران 1/ 204.
[23] تفسير إرشاد الحيران 3/ 275.

صاغرون أو متصاغرون فقراء ومتفاقرون، ونحن الآن نعلم حقيقتهم رغم ما يملكون من الأموال، وما لهم من سيطرة على الدول والشركات في جميع الأحوال، ونراهم ونسمع عنهم يتكالبون ويندبون حظهم أنهم ضحية الحروب والقتال!"[24] بين المؤلف أن الذلة والمسكنة ضربت على اليهود إلى آخر الزمان، وليست مقصورة بزمن موسى عليه السلام، وأنها صفة نفسية لليهود وإن لم تظهر في نفوذهم المالي والعسكري.

- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: ٥٣] قال المؤلف: "فوجه التبين: أن هذا إخبار بالغيب عن شيء سيقع .. فإذا وقع مطابقاً دل على صدق الخبر. وهو دليل على إعجازه كل البشر! .. وهذه الآيات تكفيهم دلالة على أن القرآن منزل من عالم الغيب المطلع على كل شيء!"[25] وقد كشف الله للبشر بعد عهد النبوة الكثير من العلوم والمعارف سواء في الآفاق أي البيئة الخارجة عن ذواتهم، أو في أنفسهم من علوم الطب والاجتماع وغيرها.

الإعجاز التشريعي:

تفسير "إرشاد الحيران" ليس من التفاسير الفقهية، لأن المؤلف لم يغرق في تحليل القضايا الفقهية في القرآن، إلا أن المؤلف عند تفسيره لآيات الربا والدين في سورة البقرة، وآيات الميراث في سورة النساء، يشير إلى أن القرآن الكريم معجز من الناحية التشريعية، ويشير إلى مظاهر هذا الإعجاز في عدة جوانب منها:

1. الدقة العجيبة في صياغة الألفاظ في الأية حتى لا يستقيم تبديل لفظ بلفظ، ولا تقديم نص ولا تأخيره عن موضعه.
2. عدم طغيان الدقة في تأدية الأغراض التشريعية على طلاوة التعبير وعذوبته.

[24] المصدر السابق 1/ 149.

[25] تفسير إرشاد الحيران 10/ 369.

3. ربط التشريع بالوجدان الديني ربطاً لطيف المدخل دون الإخلال بترابط النص من ناحية الدلالة القانونية.
4. إيفاء المعنى بأقل ما يمكن من الكلام، وهو بلاغة الإيجاز باعتبار المقام.
5. يحقق التشريع الإسلامي أغراضاً اجتماعية وشعورية وعملية لا يحققها أي نظام آخر من النظم التي عرفتها البشرية.
6. التشريع الإسلامي يتمشى مع الفطرة دون تعسف ودون جور، ودون إهمال للمصالح المتعادلة المتوازنة في حياة الجماعة البشرية [26].

الإعجاز العلمي:

وهو من وجوه إعجاز القرآن عند المؤلف، ومنهجه فيه أنه: أحياناً يكتفي بالقول أن هذه الآية فيها حقيقة علمية، وأحيانا أخرى يبين هذه الحقائق العلمية ويشرح مدلولاتها، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ١١﴾ [فاطر: ١١] قال: "فعلم الله على كل حمل وعلى كل وضع في هذا الكون المترامي الأطراف! وتصوير علم الله المطلق على هذا النحو العجيب ليس من طبيعة الذهن البشري أن يتجه إليه، لا في التصوير ولا في التعبير .. فهو بذاته دليل على أن الله هو منزل هذا القرآن"[27].
- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ٤٧﴾ [الذاريات: ٤٧] قال: "فلفظ البناء إشارة إلى كون السماء محكمة البنيان .. وفي لفظ بأيد تأكيد لذلك البناء المصمم بيد القدرة الذي لا تفاوت فيه ولا خلل يعتريه .. وجملة وإنا لموسعون فيها التحدي والتعجيز لكل

[26] ينظر تفسير إرشاد الحيران 2/ 26، 63، 424، 426.
[27] تفسير إرشاد الحيران 10/ 40.

مخلوق بأنه لا يمكن له أن يحدد مسافة السماء مهما أوتي من علم وقدرة على البحث والتنقيب!!"[28].

- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ١٩ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ٢٠﴾ [الرحمن: ١٩ – ٢٠] بعد أن بين أن المقصود بالبحرين هما البحر الملح الأجاج وماء المطر أو النهر العذب الفرات قال: "وهذان المآن يختلفان في نظر العين، ولكنهما لا يمتزجان امتزاجاً لا يمكن فصلهما، بل ثبت بالتجربة العملية فصل الماء العذب عن الماء الملح، ولاشك أن هذه الحقيقة العملية أشار إليها القرآن للتحدي والاعتبار"[29].
- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢﴾ [الإنسان: ٢] يشير إلى الحقيقة العلمية التي تتضمنها الآية ويسهب في الحديث عنها، بما يكشف عن سعة اطلاعه واهتمامه بدراسة العلوم، قال المؤلف: "وكلمة أمشاج هنا: تعبير علمي قصد به إعجاز علمي مع إعجازه البياني!. فالأمشاج: الأخلاط وهي إشارة إلى تكون النطفة من خلية الذكر، وبويضة الأنثى بعد التلقيح، فهي الوراثات الكامنة في النطفة، والتي يمثلها ما يسمونه علمياً"الجينات" وهي وحدات الوراثة الحاملة للصفات المميزة لجنس الإنسان أولا، ولصفات الجنين العائلية أخيراً"[30].
- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ٤﴾ [القيامة: ٣ – ٤] قال المؤلف: "فهذا الأسلوب كناية عن إعادة التكوين الإنساني بأدق ما فيه من البصمات التي تميّز كل شخص عن غيره!، والتي اعتمد عليها الآن في إثبات الشخصية!. وهو إعجاز علمي بعد الإعجاز البياني"[31].

---

[28] تفسير إرشاد الحيران 11/ 186.
[29] تفسير إرشاد الحيران 11/ 283.
[30] تفسير إرشاد الحيران 12/ 223.
[31] تفسير إرشاد الحيران 12/ 207.

- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝٧﴾ [الطارق: ٥ – ٧] أشار باختصار إلى الدلالة العلمية في الآيات فقال: "ففي هذا الأسلوب إعجاز علمي، علم أخيراً عندما تقدم العلم، فظهرت حقائق لم يعلمها السابقون"[32].

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على المبعوث بالرحمات، فقد وصلت الدراسة الى الختام، وقد تبين مما سبق أن علماء ليبيا الكرام لهم جهود قيمة ومميزة في مجال الإعجاز القرآني، لا تقل أهمية عن نظرائهم من علماء المسلمين، وأن هذه الجهود حري بها أن تجمع وتصنف وتتخذ موضعها من المكتبة الإسلامية العالمية، وخلصت من النماذج التي درستها الى التالي:

نتائج البحث:

1. لعلماء ليبيا جهود علمية قيمة في بيان تاريخ الإعجاز القرآني، ومنهم الأستاذ الدكتور حسن مسعود الطوير، بكتابه: "جهود علماء الغرب الإسلامي واتجاهاتهم في دراسة الإعجاز القرآني (من القرن الخامس حتى القرن الثامن الهجري).
2. لعلماء ليبيا جهود علمية قيمة في بيان وجوه إعجاز القرآن، منها جهود الأستاذ الدكتور عبد الله محمد النقراط في دراسة الإعجاز البياني، بكتابه "بلاغة تصريف القول في القرآن الكريم (المقاصد الكبرى) (جزآن)، وبحثين منشورين في مجلة الجامعة الأسمرية وهما؛ من "أسرار الإعجاز القرآني"، و "من أسرار القرآن الكريم تصريف أساليبه: تنوع صور الاستفهام".
3. من جهود الليبيين في بيان وجوه إعجاز القرآن، جهود الدكتور سعيد سالم الفاندي، الذي نُشر له بحث في مجلة الجامعة الأسمرية بعنوان: "في الإعجاز العلمي".

[32] تفسير إرشاد الحيران 12/ 320.

4. المفسرون الليبيون لهم جهود قيمة في بيان الإعجاز القرآن، ومنهم فضيلة الشيخ أحمد أبو مزيريق _رحمه الله_ في تفسيره "إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن"، الذي ذكر فيه إشارات عديدة إلى وجوه الإعجاز القرآني.

وفي الختام لا يفوتني أن أشكر القائمين على هذا المؤتمر العلمي، أفراداً ومؤسسات، على جهودهم في إنجاح هذه المبادرة الطيبة، التي عرفتنا بعلمائنا وبجانب من جهودهم وإبداعاتهم في مجال تفسير القرآن وعلومه، حتى يتسنى لنا الاستفادة من هذه الجهود، وتوظيفها في خدمة القرآن الكريم.

التوصيات:

1. أوصي القائمين على المؤتمر بإنشاء موقع إلكتروني تجمع فيه جهود الليبيين في التفسير وعلوم القرآن، وسائر التخصصات العلمية.
2. كما أوصي بأن يكون على الموقع السير الذاتية لكل علماء ليبيا، ووسائل التواصل معهم كأرقام الهواتف والإيميلات الإلكترونية، حتى يسهل التواصل لأغراض البحث العلمي.
3. أوصي بطباعة مخرجات المؤتمر، وإرسال النسخ الإلكترونية أو تحميلها على موقع الجامعة حتى يسهل الرجوع إليها.

المصادر والمراجع:

- إرشاد الحيران إلى توجيهات القرآن، فضيلة الشيخ/ أحمد عبد السلام أبو مزيريق، دار المداد الإسلامي، بيروت_ لبنان، ط1، 2011م.
- أسرار الإعجاز القرآني، أ.د عبد الله النقراط، بحث منشور في مجلة الجامعة الأسمرية، المجلد الأول، 2003م.
- إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، د. صلاح الخالدي، دار عماد للنشر والتوزيع، الأردن، ط1 2000م.
- إعجاز القرآن الكريم، د. فضل حسن عباس، مطبوعات الجامعة الأردنية، 1991م.

- جهود علماء الغرب الإسلامي واتجاهاتهم في دراسة الإعجاز القرآني (من القرن الخامس حتى القرن الثامن الهجري)، الأستاذ الدكتور/ حسن مسعود الطوير، دار قتيبة للطباعة والنشر، دمشق وبيروت، الطبعة الأولى 1430 م.ر/ 2001م.
- في الإعجاز العلمي، د. سعيد سالم الفاندي ، بحث منشور في مجلة الجامعة الأسمرية، المجلد التاسع، 2008م.
- مباحث في إعجاز القرآن، د. مصطفى مسلم، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1416هـ.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد ابن فارس بن زكريا(ت395هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.
- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة بيروت لبنان، الطبعة الأولى.
- من أسرار القرآن الكريم تصريف أساليبه: تنوع صور الاستفهام، أ.د عبد الله النقراط، بحث منشور في مجلة الجامعة الأسمرية، المجلد السابع، 2007م.